

الخميس 10-07-2008

314-أحلام فترة النقاهة "نص على نص"

نص اللحن الأساسي (حلم 71)
كان أهمل ما في عهد شبابنا صديق نادر المثال. آية في خفة الروح وحلاوة النكتة ورشاقة القفشة وبراعة القافية وثناء الحكايات، والنوادر وإلى ذلك كله لم يكن يرض علينا عند الطلب بالغناء والرقص وسائر فنون اللهو. هكذا أمتعنا دهرًا حتى وقع عليه الاختيار لشغل وظيفة مرموقة عرفت في بلادنا بالجلال والوقار. وتوجسنا خيفة، و سرعان ما تحقق تخوفنا فقال لنا وكأنه يردد عنا إنه قرر تغيير حياته من الألف إلى الياء ولم يراجع أحد وسلمنا أمرنا لله.

وكان إذا قابلنا في مناسبة حيانا بوقار شديد يعمق شعورنا بالغربة والأسى.

وهنت العلاقة الحميمة وقاربت التلاشي، ولم نعد نسمع عنه إلا في نشرة التنقلات والتزيينات. وأخذنا نتناسى حتى نسيناه أو كدنا. وبعاد الزمن بيننا وبينه حتى شاء القدر أن نلتقى على غير ميعاد ذلك عندما احتفلت البلاد بعيدها القومي الجديد. خرجنا للمشاركة والفرحة.

وعزت الموسيقى النحاسية ودقت الطبول. وتقدمت فرقة من الجيش تبعها فرقة من الشرطة تبعها سيارات الصفوة وهنا طالعنا صديقنا القديم ولكن على حال لم تجئ لنا في خاطر. رأيناه يمتطي همارا. ويتجلى التناقض صارخا بين تفاهة موكبه وفخامة ملبسه. وكان يثير الضحك أينما ظهر. لكنه والحق يقال لم يلتفت بمنة ولا يسرة، ولا حاد شعرة عن وقاره.

القراءة

..... تابعت الموكب من بعيد دون شماته، بل بدرجة من الأسى الغامض، وكأنني فهمت ما لا يفهم، لكن سرعان ما غمرني الدهشة المتوقعة، فرحت أتلقت حولي بين الحين والحين أحاول أن أبحث عن دهشة في وجوه الناس مثل الدهشة التي اعترتني، أو حتى عن دهشة أصدقائنا الذين نعرفه معًا، فلا أجد شيئًا من ذلك، وكأن هذه الفقرة الغريبة وسط المهرجان المتكامل هي أمر طبيعي، أو كأنني الوحيد الذي لاحظتها بهذا الوضوح فلاستغراب الممتزج بالتوجس الذي حل محل الأسى الغامض.

وبرغم علمي عن تغيره الطارد لأنى اقتراب، تحاملت على نفسي وذهبت نحوه بعد انتهاء الموكب، فقال بنفس الضلف: ماذا تريد؟ قلت له: لا شئ، فقط أحببت أن أعرض عليك خدماتي بحق الصداقة القديمة وأربط الحمار بعيدا قليلا بعد انتهاء الاحتفال بعيدنا القومي الجديد، وعلمنا التميز الجميل.

قال بنفس اللهجة: أى حمار تعني؟ هل أصاب عقلك مس؟

فأمسكت بلجام الحمار وأنا أملك على رقبتة غير مصدق وقلت: هذا الحمار.

فقال: لولا أننى احترم العشرة القديمة، لقلت لك إذهب عنى فلا يوجد حمار غيرك.

فانصرفت أتلفت وأنا أشك فى عقلى،

وأترحم على أيام النكته والقفشة والقافية، والنوادر، والرقص والغناء.

نص اللحن الأساسى (حلم 72)

امتلاً البيت القديم بالعباسية بالطيور المهاجرة من الإخوة والأخوات فى اليوم المتفق عليه لزيارة الوالدة، وطلبوا منى إعداد أكلة سمك من سماك العباسية المشهور. ذهبت من فورى إلى المطعم وطلبت الطلب ووجدت جميع الموائد مشغولة إلا المائدة التى تلى الباب مباشرة فذهبت إليها وجلست على كرسى فى طرفها أنتظر. وجاءت سيدة فى الستين مصطحبه معها فتاة فى العشرين وجلستا إلى المائدة، وجاء النادل بالأطباق والطواجن. وعلى خلاف المعهود دعتنى السيدة لمشاركتها الطعام، وبجلاف المتوقع لبيت الدعوة صامتا وبدأت فى تناول الطعام، وسرعان ما جاء النادل باللفافة المعدة للمنزل فتناولتها وأنسحبت من المائدة دون اعتذار أو شكر وخرجت من المطعم فرأيت على بعد ذراع صديقى المرحوم ع. ش وسررت برؤياه سرورا كبيرا. وعلى سبيل المجاملة قدمت له اللفافة لكنه أخذها بلهفة ومضى دون أن ينبس بكلمة إلى باب مفتوح فدخله وأغلقه. وأدهشنى بتصرفه ولكنى لم أجد مناصا من تجديد الطلب فرجعت إلى المطعم وجددت الطلب. وكان النادل يحمل الخلوى إلى السيدة والفتاة. ودعتنى للمشاركة فذهبت دون تردد، وهنا قالت السيدة أنها ترغب فى الذهاب إلى شارع بين السرايات ولكنها لا تدرى كيف السبيل إليه، فتطوعت بتوصيلها وسار ثلاثتنا فى شارع العباسية. وتم التعارف بالشكر وتفرغ الحديث بنا واستحوذ على حتى أنى مررت بشوارع بين السرايات دون أن أنتبه لذلك، كما نسيت الطعام الذى جهز لى فى المطعم وكما نسيت المنتظرين والمنتظرات فى البيت القديم بالعباسية.

